

من

تراب (٢٢٧) ظهور النوابع وكيف؟! (*)

الطريق!

ترى من أين وكيف يظهر النوابع من أصحاب الرسائل أو القديسين أو الأئمة أو الشهداء، أو من العلماء والمفكرين والفنانين وكل من يخرج من بحر العاديين ليشكل قيمة متميزة متفردة تَبْذ وتبرز بنبوغها وتفردها؟! ظنى أنه لابد لذلك مما أسميه " فائض إحساس " غير عادى بالصدق والاستقامة لكل صاحب رسالة روحية .. نبياً كان أو ولياً أو قديساً أو إماماً أو شهيداً .

ولابد من " فائض إحساس " غير عادى بالحقيقة لمن كان عالماً - قديماً أو حديثاً - بعلم أو أكثر من العلوم الطبيعية أو الكيمايية أو الطبية أو الهندسية أو الاجتماعية .

ولابد من " فائض إحساس " غير عادى بالجمال للفنان رساماً كان أو نحاتاً أو مصوراً أو بناءً أو ملحناً أو ممثلأ أو مخرجاً .. شاعراً كان أو نائراً أو قصاصاً .. موسيقياً مؤلفاً كان أو عازفاً .. إيقاعياً كان أو راقصاً أو تعبيرياً بأى نحو من الأتحاء ..

هذا " الفائض " غير العادى فى الإحساس، هو القاسم المشترك بين الإمام والعالم والفنان والأديب والشاعر .. من هذا الفائض غير العادى فى الإحساس يتشكل وجدان كل منهم وانطباعه بموضوعه وأهميته، ينمو ويزداد وجوده وعطاؤه إذا صادف ظروفأ ملائمة مبكرة أو حتى متأخرة للنمو والتطور .. وقد يخنتق ويموت إذا حاصرته ظروف معاكسة تتساوى

(*) المال ٢٠٠٩/٣/١٧

وتفوض وتميت ما لديه .. شأن أى موهبة لا تصادف الأرض والمناخ المناسب لنمائها وازدهارها .

أما جمهور الإمام أو العالم أو الفنان أو المفكر أو الأديب أو الشاعر، فإن القدر المشترك بين هذا الجمهور هو وجود الإحساس المعتاد وجوده لدى الإنسان العادى - بالصدق والاستقامة أو بالحقيقة أو بالجمال .. هذا الإحساس الذى يقبل الإيقاظ لوقت يقصر أو يطول .. يتلقى فيه الإشباع بما يحبه - لدى كل من هؤلاء - من الموهبة والعطاء الناجم عن فائض الإحساس غير العادى ..

هذا الفارق بين أولئك الموهوبين وبين جمهور الناس، هو فارق خلقى طبيعى غير معلل وغير قابل للتعليل .. ولذلك لا نجد الموهبة حاضرة فيمن يدعيها أو ممن يدعيها لمدعيها، وإنما تثبت فقط بوجودها واقعا حاضرا بغير ادعاء ولا استعراض، تدوم ويدوم أثرها حتى بعد وفاة صاحبها الموهوب الذى يظل الجمهور عارفاً به وبموهبتة ذاكراً لهما بعد موته وانقطاع السبل بين الراحل وبين ادعاء ما اعتاد بعض الناس أن يلحقوه بأنفسهم من مواهب أو مزايا أو صفات !

بل نرى أن موهبة مثل عبقرية فان جوخ أو كوبرنيك - ظلت مجهولة فى حياتهما، لم تعرف ولم يدركها الجمهور إلا بعد موتهما وانقطاع سبيل لأى منهما للحديث عن موهبتة أو الترويج لها !!

وجود الموهبة فى الذرية مطمع من قديم الزمان يرجوه ويتمناه الآباء والأمهات .. رأينا ونرى حرصهم - حسب اقتدارهم - على إلحاق أولادهم بذوى المواهب .. ليتعلموا منهم ويتأثروا بهم وتتضح عليهم مواهبهم لكن بما قد يكتسبونه منهم من معلومات وأساليب ومهارات .. أما " الموهبة " ذاتها فلا سبيل لتعليمها أو تعلمها أو توارثها !

فى زماننا نرى الآلاف فى المدارس والمعاهد يطنون العلم والعلوم والآداب والفنون، ومنهم من ينال الشهادات الرفيعة والألقاب العلمية

والدينية والفنية، ولكنهم لا ينالون " الموهبة " لأنها سجية مطبوعة قد
تتمى بالدربة والممارسة، ولكنها لا تخلق ولا تكتسب مهما أنفق الدارس في
قاعات العلم والفن والدراسة .

ومع شيوع الاستغراق في الظاهر والمظاهر، جعل الأوساط من أرباب
الشهادات ودواليبها يحتلون محاور الحياة العامة التي خلت أو تكاد من
أصحاب المواهب، وفارقها الجد والإنتاج بقدر ما فارقت الواقع وابتعدت
عن الصدق والمعقولة !

ليس هذا تقليلاً من شأن الشهادات وما تعبر عنه من تحصيل لمعارف
وإمكانيات، وإنما يأتي الخطر حين تزيج الشهادات أو تزييف المواهب
وتواربها وتحول بينها وبين التعبير عن امتيازها وتفرداها وفائض ما لديها
من إحساس غير عادي بالصدق والاستقامة والجمال ..

إذا توارت المواهب أو أزيحت، جفت حياة الناس وتزايدت مشاقهم في
مجتمع يستغرقهم بعاديات الأمور ويشغلهم بطعامهم وسكنهم وصحتهم
وعملهم وأمنهم .. مهتدين في تلك بمغامرات ومجازفات المستغلين حملة
المراتب أو " المواهب الرسمية " الزائفة !.. الذين بيدهم مرافق الدولة
يديرونها بما شاءوا بلا فائض إحساس بل بلا إحساس وبلا شعور
بالمسئولية وبلا محاسبة .. لا يرددهم عما اعتادوا إلاّ الخوف إن كان له
سبيل !!